مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 24 العدد: 1 السّنة: الثّلاثيّ الأوّل 2022، ص: 567 – 580

أهمّيّة اللّغة العربيّة في تأويل الخطاب القرآني

The importance of the Arabic language in the interpretation of the Quranic discourse

أ. داودي سعـاد‡
أ. حدوارة محمد§

تاريخ الاستلام:05-05-2020 تاريخ القبـول: 12-07-2020

ملخّـــص: يقوم تأويل الخطاب بصفة عامة، وتأويل الخطاب القرآني بصفة خاصة على آليات محددة تؤطر العملية التّأويلية، وتضمن سلامتها وبعدها عن الانّحراف والزّيغ. ولعلّ أهم هذه الآليات وأبرزها العلم باللغة العربية، لغة الذّكر الحكيم التي اجتباها المولى عز وجل لرسالته الخاتمة، فتشرفت بنعمة حمل لواء الدّين الإسلامي وبيان أحكامه.

لذا كانت اللّغة العربيّة وما تزال أول مفاتيح قراءة الخطاب القرآني، وأهم سبل تفسيره وتأويله، وهذا ما جعل الإلمام بخصائصها شرطا أساسيا ينبغي أن يتسلح به قارئ الخطاب القرآني ومؤوله؛ بغية الوصول إلى مقاصد الشّريعة الإسلاميّة.

الكلمات المفتاحيّة: الأهمّيّة؛ اللّغة العربيّة؛ التّأويل؛ الخطاب القرآني.

Abstract: Interpretation of discourse in general and interpretation of the Quranic discourse in particular are based on specific mechanisms that frame the interpretative process, ensures its safety and its distance from deviation and aberration. Perhaps the most important of these and the most prominent of these mechanisms the knowing of the Arabic language that the muwllah ezz w gel chose it for his final message so, it had the honor of carrying the banner of the religion and explaining its rules.

* قسم اللغة والأدب العربية، كلية الآداب واللغات، ج. ابن خلدون – تيارت – الجزائر، البريد الإلكتروني: souadsouad@gmail.com (المؤلّف المرسل)
§ قسم اللغة والأدب العربي – كلية الآداب واللغات ج. ابن خلدون – تيارت – الجزائر، البريد الإلكتروني: ben.had33@gmail.com

Therefore, the Arabic language was and still is the first key to reading the Quranic discourse and the most important means of translation and interpretation, that what makes familiarity with its characteristics a basic condition it should be known by the reader and interpreter of Quranic discourse in order to reach the purposes of Islamic law.

Keywords: Importance; Arabic language; Interpretation; Quranic discourse.

1- المقدّمة: من حكم الله سبحانه وتعالى، وقدرته جل شأنه وعلا، بعث معجزات لعباده تفوق جنس ما برعوا فيه؛ ولما كان العرب أهل لغة وبيان قدسوا العربيّة وعظموا شأوها، نزل القرآن الكريم بلغتهم لكنه أبهرهم وتحداهم على الإتيان بمثل أصغر جزء منه، فتحقق بذلك إعجاز صدم بلاغة العرب ولوى عنقها. وهو الأمر الذي شهد به وأكده فطاحل العربيّة وزعماؤها رغم معاداتهم للرسالة، لأنهم أدركوا تميزه واستحالة تقليده أو وجود مماثل له.

فقد كان اختيار المولى عز وجل للغة العربيّة تكريما لها، فزادت به رونقا وجمالا وتميزا، وكتب لها الخلود والبقاء؛ لأنها الرّكيزة الأساسية في قراءة القرآن الكريم، لذا فإن أي دراسة للخطاب القرآني أو محاولة لاستجلاء معانيه، والبحث عن درره النّفيسة ولآلئه النّادرة، لا تتأتى إلا عن طريق معرفة اللّغة العربيّة وإدراك خصائصها ومميزاتها والتّبحر في علومها، وذلك لأن طارق هذا الباب لا يستطيع ولوجه بدونها. فهي عماد علمي التّفسير والتّأويل، لذا كانت اللّغة العربيّة وما تزال محل اهتمام وبحث لدى العلماء والباحثين على اختلاف أصولهم وعصورهم، وهذا ما يؤكده زخم التّأليف حول هذا الموضوع.

لذا يروم هذا المقال الإجابة عن إشكالية مفادها:

فيما تتجلى أهمية اللّغة العربيّة، وما هو دورها في تأويل الخطاب القرآني؟

وذلك وفقا للخطة الآتية:

1- تعريف الخطاب القرآني.

2- تعريف اللّغة العربيّة.

3- تعريف التّأويل.

4- مكانة اللّغة العربيّة وأهمّيّتها في تأويل الخطاب القرآني.

2- تعريف الخطاب القرآني:

يتركب مصطلح الخطاب القرآني من لفظين " الخطاب، القرآني " ولكل منهما معناه الخاص به في اللّغة والاصطلاح.

2-1- تعريف الخطاب:

- لغة:

يرجع مصطلح الخطاب في اللغة الى مادة " خ ط ب "، حيث جاء عند ابن فارس (395ه) أن: " الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين يقال خاطبه يخاطبه خطابا والخطبة من ذلك".[1] وهذا الأصل الأقرب إلى مفهوم الخطاب، كونه يمثل الكلام الذي يصدر من باث نحو متلق.

أما عند ابن منظور(711ه) " فالخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان"[2]، أي يتبادلان أطراف الحديث.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول، أن الخطاب في اللغة العربيّة يدل على الكلام الذي يدور بين محوري الخطاب، ألا وهما المرسل والمرسل إليه.

- **اصطلاحا:**

لقد نال مصطلح الخطاب اهتماما كبيرا وبحثا مستفيضا، "إذ شغل مفهوم الخطاب –وما يزال يشغل– موقعا محوريا في جميع الأبحاث والدراسات التي تندرج في مجالات تحليل النصوص"[3]، لأنه يمثل أحد الأسس التي تقوم عليها عمليات القراءة والفهم والتّأويل.

والخطاب بشكل عام رسالة يلقيها المُخَاطب الى مُخَاطَبه بغرض تحقيق مقصد معين في إطار تواصلي تتحد في تحقيقه عدة عناصر، إذ "يدخل فيه الكلام والمتكلم وبيئة التّنزيل وسياقه وأساليب التخاطب"[4] فالخطاب مصطلح يشمل كل ما يتعلق بعملية التّواصل ويحيط بها، إذ لا يمكن عزل او إغفال أي عنصر من عناصر التّخاطب، لأن الخطاب يمثل كلا متماسكا ومترابطا.

ولكل خطاب هدف يصبو إلى تحقيقه، وغاية يسعى لبلوغها، باشتراك جميع عناصر التواصل، " فالخطاب في تكوينه هو بنية لغوية أو تلفظيه يتشكل من مجموعة من وسائل الاتصال بهدف تبليغ رسالة، هذه رسالة تفترض وجود طرفين يسميان بطرفي الخطاب هما: (المرسل/الباث) و(المرسل اليه/المتلقي) تجري بينهما العملية الإبلاغية من خلال سلطة تضمن هدف الخطاب الذي قصده المرسل"[5]

ومن خلال ما تقدم يمكن القول، أن الخطاب عملية تتطلب تظافر مختلف أطراف التّخاطب بغية تبليغ وإيصال رسالة محددة.

2-2- تعريف القرآن:

- لغــة:

تعددت آراء العلماء حول اشتقاق لفظ القرآن، واختلفوا في بيان أصله اللغوي. وفي هذا الصّدد يرجح محمد عبد العظيم الزرقاني أن لفظ القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى:

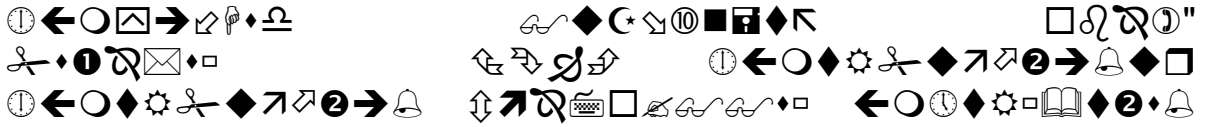

[illegible]"[6]، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن باب إطلاق المصدر على مفعوله، وذلك استنادا الى مورد اللغة، وقوانين الاشتقاق.[7] ومن خلال ما تقدم، يمكن القول أن لفظ القرآن يرجع في اللغة إلى قرأ، يقرأ، قراءة وقرآنا، وهو أشهر أسماء كلام الله وهديه عز وجل.

- اصطلاحا:

نعمة الله سبحانه وتعالى، ونوره الذي أنار به السماوات والأرض رأفة منه بجميع خلقه، فهو "كلام الله عز وجل الموحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ العربي المتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر المعجز بلفظه ومعناه"[8]، فالقرآن الكريم يمثل المعجزة الخالدة والرّحمة الأبدية، والمنهاج القويم الذي أنزله الله جل وعلا شفاء وهداية للناس بلسان عربي مبين، استنادا الى قوله تعالى:

[illegible]

[illegible]"[9]

2-3-الخطاب القرآني اصطلاحا:

دستور العقيدة الإسلامية ونبراسها المنير، الذي يحتوي كل ما يحتاجه البشر في أي زمان ومكان، فهو "سلطة روحية ربانية توفرت فيه جميع المقومات لتحقيق هدف سامي، وهو الإيمان والتوحيد بالله عز وجل وأنه رسالة تبليغيه لا يمكن لها أن تتحيز لمكان محدد، أو تختص بأمة معينة، إنه خطاب مهيأ للتوصيل ملائم للفطرة الإنسانية مستغرق لكل اجناسها، كما أنه سلطة فنية –من حيث تساميه الأدبي المباين من الأجناس الأدبية العربية–استطاعت أن تربك ثنائية الشعر والنثر."[10]

فالخطاب القرآني هو الرّسالة الإلهية العالمية المعجزة، التي بعثها الله عز وجل هداية للناس وتوجيها لهم، وبين من خلالها سبل الفلاح في الدّنيا والنّجاة في الآخرة. فهو الكتاب العظيم والصّراط المستقيم الذي أضاء به الله جل وعلا درب العالمين.

3- تعريف اللّغة العربيّة:

يرجع أصل اللغة العربيّة إلى العرب، وهم " أمة من الناس سامية الأصل، كان منشؤها شبه جزيرة العرب(ج) أعرب. والنسب إليه عربي يقال: لسان عربي، ولغة عربية"[11]، فهي لغة سكان شبه الجزيرة العربية، والتي حباها الله سبحانه وتعالى وتعهدها بالحفظ والرعاية، فكان ذلك سببا في فتق أسرارها وتطورها وازدهارها ونشأة علومها.

لذا حظيت اللّغة العربيّة دون سائر لغات العالم بالاهتمام والبحث؛ كونها لغة الدين الحنيف، وعماد الشّريعة الإسلاميّة وأساس فهمها، وفي هذا الصدد يقول الثعالبي (430هـ): " العربيّة خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الدّيانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدّين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد."[12] فبها يتمكن المسلم من معرفة مرامي ومقاصد الخطاب القرآني.

والمراد بالعربيّة حسب تعبير طاهر بن عاشور: "معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم سواء حصلت تلك المعرفة، بالسجية والسليقة، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانهم، أم حصلت بالتلقي والتعلم كالمعرفة الحاصلة للمولدين الذين شافهوا بقية العرب ومارسوهم والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها.

إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة، ويعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة والتصريف والنحو، والمعاني، والبيان"[13] فالعربيّة تمثل الوسيلة التي تعرف بها مقاصد الخطاب العربي سواء أكانت بالفطرة أو بالاكتساب بعد الدراسة.

ولغة العرب لغة ثرية ومتميزة، عرفت بالصّفاء والبهاء، فكانت وماتزال لغة حية تمتاز عن باقي اللغات بثراء مفرداتها، وتعدد تركيبها، وتنوع أساليبها، وكون القرآن عربي فإن العلم بقواعد العربيّة هو النّهج السّليم لبلوغ مراميه.

4- تعريف التأويل:

شغل مصطلح التّأويل ساحة البحث والدّراسة على مر العصور واختلافها، إذ يعد من أهم وأكثر المصطلحات التي أثارت الجدل والنّقاش، وتعددت حولها الآراء والاتجاهات. وهذا ما أكسب الدراسات التّأويلية طابعا متميزا.

- لغة:

يرجع لفظ التّأويل في اللغة الى مادة "أ و ل"، والتي تدور أهم معانيها اللغوية حول ما يلي:

1- الرّجوع: جاء في لسان العرب الأول": الرجوع آل الشيء يؤول أولا ومآلا رجع. وأول إليه الشيء: رجعه، وألت عن الشيء: ارتددت." [14] فالتأويل الشيء إرجاعه الى أصله ورده إليه.

2- التّفسير: من أهم المعاني اللغوية التي ارتبطت بالتّأويل، حيث ورد عند الجوهري (398هـ) في الصّحاح أن: "التّأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أولته تأويلا وتأولته تأولا بمعنى."[15] فكل تأويل للشيء هو تفسير لما يؤول اليه.

3- السّياسة والإصلاح: جاء في الصّحاح "الإيالة: السياسة يقال: آل الأمير رعيته يؤولها أولا، وإيالا أي: ساسها وأحسن رعايتها. وفي كلام بعضهم: قد ألنا وإيل علينا. وآل ماله، أي أصلحه وساسه. والائتيال: الإصلاح والسياسة". [16] فالأمير أو الحاكم هو المسؤول عن أمور الرّعية وإصلاحها.

4- العاقبة: تأويل الشيء أو الكلام عاقبته، يقول ابن فارس " تأويل الكلام، هو عاقبته وما يؤول إليه وذلك قوله تعالى: "

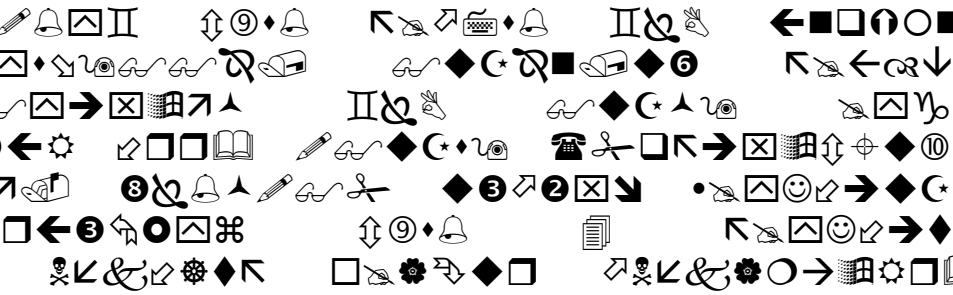

إليه في وقت بعثهم ونشورهم."[18]

5- تأويل الرؤيا: ورد لفظ التّأويل بهذا المعنى في القرآن الكريم عدة مرات، حيث يقول ابن منظور في هذا الصدد: "التّأويل عبارة الرؤيا" [19]

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن مصطلح التّأويل يتميز بالاتساع والثّراء والتّنوع من حيث الدّلالة اللغوية والتي تدور حول: الرّجوع والتّفسير والسّياسة والإصلاح والعاقبة وتأويل الرّؤيا...

- اصطلاحا:

إنّ دراسة التّأويل والبحث في ثناياه، أو بعبارة أخرى محاولة الإمساك به ليس أمرا هينا، وذلك راجع لاتساع نطاقه وكثرة التأليف فيه من جهة. وتنوع مذاهب الخائضين فيه واختلافها من جهة أخرى، لذا كان مصطلح التأويل وما يزال مصطلحا رائجا في مختلف البيئات الفكرية، وفي هذا الصدد يورد ابن تيمية (728هـ) خلاصة ما قيل حول معنى التّأويل ودلالته الاصطلاحيّة بقوله: "أن لفظ "التّأويل" قد صار بسبب تعدد الاصطلاحات، له ثلاثة معان:

أحدها: أن يراد بالتّأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره. وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التّأويل وفي الكتاب والسنة."[20] أي أنّ التّأويل حسب كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام: ما يرجع إليه الكلام حتى وإن كان موافقا لظاهره.

ثم ينتقل ابن تيمية إلى بيان المعنى الثّاني للتّأويل بقوله: "يراد بلفظ التّأويل: التّفسير وهو اصطلاح الكثير من المفسرين وبهذا قال مجاهد إمام أهل التفسير: إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه، وهذا مما يعلمه الراسخون."[21] وهذا ما شاع استعماله عند المتقدمين من علماء التّفسير، حيث عرفوا التّأويل بالتّفسير ووظفوه في مؤلفاتهم، لكن الأمر اختلف لاحقا، فصار لكل علم مفهوم خاص به، وضوابط يقوم عليها مع عدم إلغاء العلاقة الوطيدة التي تربط بينهما في دراسة النصوص الشرعيّة.

أما عن المعنى الثالث، فيقول: "أن يراد بلفظ "التّأويل": صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك، لدليل منفصل يوجب ذلك. وهذا التّأويل لا يكون إلا مخالفا لما يدل عليه اللفظ ويبينه

وتسميه هذا تأويلا لم يكن في عرف السلف، وإنما سمي هذا وحده تأويلا طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصول الكلام."[22] وهذا ما أجمع عليه معظم المتأخرين الذين تناولوا مصطلح التّأويل، فأصبح هذا الأخير يشمل كل صرف للفظ عن دلالته الظاهرة إلى دلالة أخرى، مع اعتماد الدليل الذي يوجب هذا الصرف ويبيحه.

وما تجدر الإشارة إليه أن التأويل لم يبق محصورا في دائرة العلوم الدّينية، وإنما تجاوزها الى إقامة علاقات مع مختلف العلوم حتى أصبح جزء منها، إذ "تحول التأويل من كونه مصطلحا متداولا في مباحث النصوص الدّينية الى علم يبحث في آليات الفهم، بعد أن تعدى مرحلة النصوص الدينية ليصبح علما مستقلا بذاته يبحث في كيفية الفهم سواء في النصوص الدينية أو الحقول الإنسانية كالتاريخ والفلسفة والنقد والأنثروبولوجي وغيرها." [23] وهذا ما فتح باب التأويل على مصرعيه، وأتاح فرصة الاستدلال به لجميع العلماء والباحثين على اختلاف معتقداتهم ومذاهبهم وتخصصاتهم وانتماءاتهم الأيديولوجية. وهو ما شكل خطرا على التأويل بوجه عام وتأويل النّصوص الشرعيّة بوجه خاص. لذا جهد علماء الإسلام في محاربة التّأويل الفاسد، وذلك عن طريق وضع الضوابط والآليات الراشدة التي ترقى بالعملية التأويلية وتصبوا بها إلى الطريق الجادة. لذا فإن التأويل مسلك ملغم يقتضي التّسلح بالكفاءة اللازمة والاستناد الى الأدوات السليمة في إطار يراعي مقاصد الشريعة الإسلاميّة وقدسية الخطاب القرآني. فكان أول ما ركز عليه السّلف الصّالح هو معرفة اللغة العربيّة والإلمام بخصائصها كشرط أساسي في عملية الفهم، وهو الأمر الذي ورثه أخلافهم وأشادوا بدوره وأهميته في خوض غمار النّصوص وتأويليها. فما هي المكانة التي حظيت بها اللغة العربيّة ضمن أدوات تأويل الخطاب القرآني وفهمه؟

5 – مكانة اللّغة العربيّة وأهمّيّتها في تأويل الخطاب القرآني:

تعد اللغة من أهم ركائز ومقومات التّأويل، لأنّ هذا الأخير يستند إليها ويتحقق بها، فلا يمكن خوض غمار التّأويل دون العلم بلغة النّص أو الخطاب المراد تأويله، فاللغة آلية تأويلية تيّسر طريق المؤول وتفتح أمامه سبل البحث والاستقصاء، فيصبح هو الآخر طرفا فاعلا ومؤثرا من خلال "امتلاك الآليات الضرورية للتأويل، من علوم نحوية ولغوية، وبلاغية، ومعرفة بخصوصيات النص وآليات التدليل فيه، وسياقاته الخارجية المختلفة والنصوص التي يشكل امتدادا لها: يتناص او يتوازى معها وكذا امتلاك "كفاية" تأويلية تسعفه عن الربط بين العناصر التأويلية."[24]

والجدير بالذكر في هذا الصّدد، أن المؤول ملزم بمعرفة واحراز كفاءات لغوية في مختلف مستوياتها "الصّوتية والصّرفية والنّحوية والدّلالية" بإضافة الى علوم البلاغة، ومقتضيات السّياق، وكل ما يتعلق بالنص المراد تأويله، وبهذا يتمكن من ممارسة دوره وأداء مهمته المتمثلة في سبر أغوار النّص والوصول الى مقاصده.

فاللغة زاد المفسر والمؤول الذي لا غنى عنها في رحلتي القراءة والفهم، إذ لا يمكنه مواصلة الطريق بدونها، فهي حجر الأساس الذي يبنى عليه صرح التأويل، لأن "أول عتبات القراءة والتأويل هو التحليل اللغوي، فاللفظة الواحدة داخل نسق قد تدل على معان كثيرة في الاستعمال يختار منها المؤول ما يناسب الخطاب ومقصديته"[25] ، فالرجوع الى لغة الخطاب وتنقيب عن خباياها ومكنوناتها، يمثل المنطلق الأول للعملية التّأويلية.

وبما أن العربيّة لغة العقيدة الإسلاميّة، فهي تمثل الأداة الأولى لبلوغ مقاصد الشريعة الإسلاميّة، والوصول الى مرامي الخطاب القرآني، لأن العلم باللغة العربيّة وإتقان علومها يشكل حاجزا مانعا أمام اللحن في القراءة والتفسير والتأويل.

فالله سبحانه وتعالى أنزل آخر الكتب السّماوية وخاتمها بلسان عربي مبين لا عجمة فيه استنادا لما ورد في الذّكر الحكيم من آيات، كقوله عز وجل: " 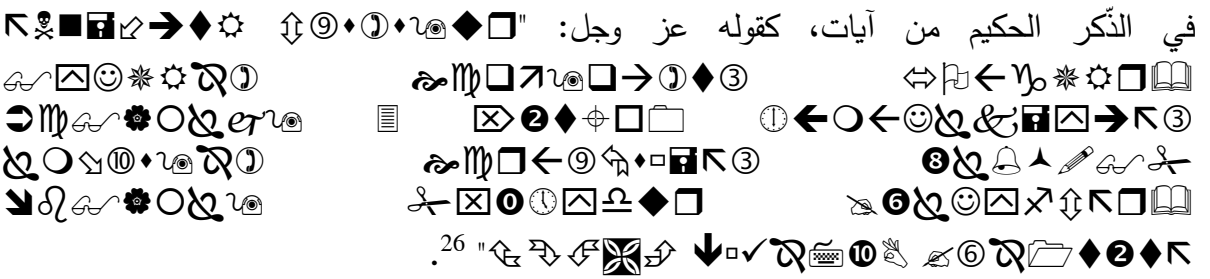 ".[26]

وقد حرص السلف الصالح على الالتزام باللغة العربية، والدّفاع عنها والذّود عن حماها، على الرغم من نقاء ملكتهم اللغوية، وقوة بيانها، وفصاحة ألفاظها، وروعة بلاغتها. وذلك يقينا منهم بضرورة المحافظة على موروثهم اللغوي الثّمين وتعليم قواعده مع بواكر نشر الدّين الإسلامي في مختلف بقاع الأرض ومع بداية الدّراسات القرآنية واللغوية، زاد التّركيز على حماية اللسان العربي الأصيل خصوصا بعد اتساع الرّقعة الجغرافية للبلاد الإسلاميّة ودخول الأعاجم إلى الإسلام. إذ أصبح العلم بالعربيّة وقواعدها مطلبا حثيثا ينبغي احرازه لمواكبة المستجدات وتعليم القرآن الكريم وفق ما نزل عليه. وفي هذا الصّدد يقول الشافعي (204هـ): "وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره: لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها." [27] أي أنّ النّهج السّليم في قراءة الخطاب القرآني والبحث في علومه، لا يتأتى لجاهل بمميزات وخصائص لغة كتاب الله، فهي التي تنئ بصاحبها عن اللحن والتيه، بل وتسدد خطاه في الوصول إلى مرامي ومقاصد الذّكر الحكيم.

وظلّ التّأكيد على دور اللّغة العربيّة في فهم الفرقان يزداد يوما بعد يوم، كونها السّبيل الأمثل لاستجلاء معاني وهدي القرآن الكريم، "فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة." [28]

فاكتساب العربية ينعكس بشكل إيجابي على حياة الفرد الدينية والأخلاقية والفكرية، وهذا ما يؤكده ابن تيمية بقوله: "واعلم ان اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيرا قويا بينا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق.

وأيضا فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب."[29] وبهذا يتضح أن لغة الضّاد هي مفتاح كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه أفضل الصّلاة وأزكى السلام.

لذا حظيت اللّغة العربيّة بحصة الأسد في الدّرس الأصولي، وذلك راجع إلى الاهتمام الكبير الذي نالته في مؤلفاتهم، باعتبارها أول مسلمات القراءة والتأويل عندهم، وهذا ما يؤكده يحيى رمضان بقوله: "القيود التي حكمت التأويل في السيمائيات التأويلية هي نفسها القيود التي حكمت التأويل عند الأصوليين، هذه القيود التي جمعتها مسلماتهم الثلاث: مسلمة لسان العرب، مسلمة المقاصد، ومسلمات انسجام النص ووحدته."[30] فتأويل الخطاب القرآني لا يتأتى لجاهل بلغته.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن قيمة اللغة العربيّة ودورها في فهم الخطاب القرآني وتأويله، لا تنقص أو تتغير بتغير الأماكن والأزمان لأنّها إحدى أهم أعمدة الحضارة الإسلاميّة ولأنّ: "أي تأويل وأيّ تجديد للمعنى داخل الثقافة العربية الإسلامية لا يتم إلا عبر إعادة خلخلة اللغة واستعادة زمن إنشائيتها أي محاولة إخراجها ونشرها وبعثها.

وإن كانت اللغة هي ما ابتدئ به الخلق فإن التأويل هو ما يبتدئ به البعث والميعاد، فالتأويل عودة الى خلقية اللغة وبعثية معانيها."[31] لأنّ التأويل يحي المعاني الكامنة في اللّغة، ويبحر في أعماقها بغرض استخراج دررها وإرسالها من جديد.

لذا يتوجب على مؤول الخطاب القرآني الالتزام بالهدى الإلهي، والاعتماد على السّنة النبوية الطاهرة ومصادر التّشريع الإسلامي ولغة الخطاب القرآني مع مراعاة مقاصد الشّريعة الإسلاميّة من أجل الظفر بالتّأويل الصّحيح ورد التّأويل الفاسد الذي يغير الحقائق ويشوهها، إذ ينئ بفكر المتلقي ويبعده عن الصواب، فيقع في الفهم الخاطئ. ومن الأمثلة الدالة على تغير المعنى بتغير لغة الخطاب ما روي عن الأعرابي الذي أقرأه رجل قوله تعالى:

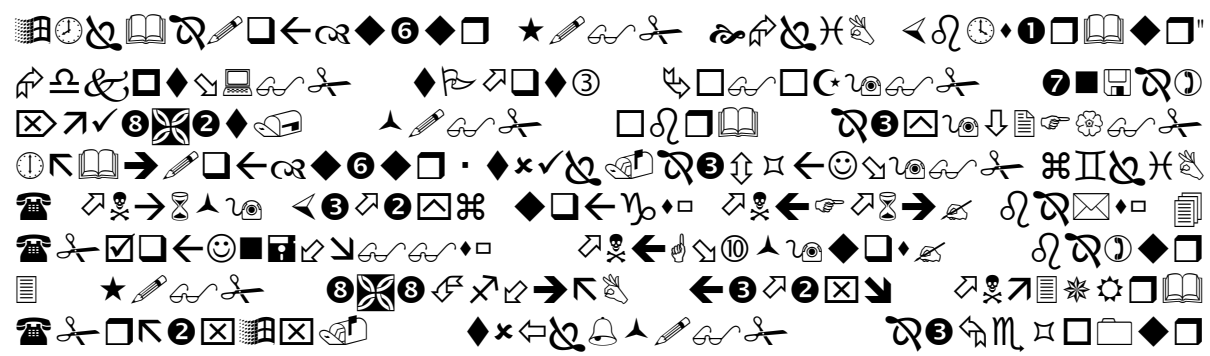

"[illegible]" [32] بقوله: أن الله بريء من المشركين ورسوله الجر، فقال الأعرابي: قد برئ الله تعالى من رسوله، إن يكن الله تعالى بريء من رسوله فأنا أبرأ منه. فلما بلغ هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب "رضي الله عنه". صحح له القراءة بقوله إن الله بريء من المشركين ورسوله بالرفع فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم منهم فأمر عمر "رضي الله عنه" أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة. [33]

وهذا ما يدل على أهمية اللغة لدى القارئ والمتلقي لأنّ أي خروج عن قواعد اللغة أو تغيير لها يترتب عنه اللغط وبالتالي التّأويل الباطل.

6 – الخاتمة:

إن الحديث عن أهمية اللّغة العربيّة ودورها في فهم القرآن الكريم وتأويله متشعب ذو شجون، وذلك لفضله وثراه في الثقافة الإسلامية قاطبة، وعليه يخلص المقال إلى تأكيد جملة من الحقائق وأهمها:

- الخطاب القرآني أسمى الخطابات وأعلاها منزلة دون منازع لأنه خطاب المولى عز وجل، وقد أضفى سمة الخلود والعلو الى اللّغة التي نزل بها، ألا وهي العربية.
- اللّغة آلية تأويلية ضرورية لفهم الخطاب والوصول الى مقاصده.
- عملية تأويل الخطاب القرآني محفوفة بالمخاطر والانزلاقات، لذا ينبغي على المؤول الاستناد الى الأسس الشرعية التي تقوده الى التأويل الصحيح.
- معرفة اللّغة العربيّة والإلمام بخصائصها شرط أساسي في قراءة الكتاب العزيز وفهمه.
- إن نشأة الدراسة اللغوية العربية وثراء حقلها يعود الى ارتباطها بالدراسات القرآنية، التي كانت الباعث الحقيقي لنهضة منقطعة النظير ما تزال ثمارها تقطف الى يومنا هذا.
- اللغة العربية عماد الدين الإسلامي، ومفتاح تفسيره وتأويله، وسلاح كل مسلم يبتغي التفقه في الدين والدفاع عنه.
- تعليم اللغة العربية وتعلمها وفق أصولها وقواعدها أمر لا غنى عنه في الشريعة الإسلامية، وذلك لأن اللغة العربية أصل من أصول التأويل الصحيح بإضافة الى الاعتماد على مصادر التشريع الإسلامي ومراعاة مقاصد آي الذكر الحكيم.

7. قائمة المراجع: **

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

- ابن الأنباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط3، (1985).
- ابن تيمية (تقي الدين أحمد الحراني)، مجموع الفتاوى، اعتنى به وأخرجه: عامر الجزار، أنوار البار دار الوفاء، مصر، ط3، (2005)، ج4.
- ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار اشبيليا، المملكة العربية السعودية، ط2 (1998)، ج1.
- ابن فارس (أبو الحسن أحمد) مقاييس اللغة، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة مصر، ط2، (1979)، ج2.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط ،(د ت) مج.
- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل)، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية بيروت، لبنان، ط2، (2000).
- الجوهري (أبو النصر إسماعيل بن حماد)، الصحاح، تح: محمد بن تامر وآخرون، دار الحديث القاهرة، مصر، د ط، (2009).
- خالد بن عبد العزيز السيف، ظاهرة التأويل الحديثة في النقد العربي المعاصر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية، ط3، (2015).
- الزرقاني (محمد عبد العظيم)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد رمزي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، (1995)، ج1.
- الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي)، الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ط1، (1997)، ج2.
- الشافعي (محمد بن إدريس)، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، (1938)، ج1.
- عبد الرحمن بودراع، الخطاب القرآني ومناهج التأويل (نحو دراسة نقدية للتأويلات المعاصرة)، مركز الدراسات القرآنية، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، المغرب، ط1، (2013).
- عمارة ناصر، اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي)، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، (2007).

- لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني "قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين" مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، (2014).
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، (2004).
- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984 ج1.
- محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، (2010).
- محمد بازي، صناعة الخطاب (الأنساق العميقة للتأويلية العربية)، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، (2015).
- موسى إبراهيم إبراهيم، بحوث منهجية في علوم القرآن، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، (1996).
- يحيى رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي (الاستراتيجية والإجراء)، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، ط1، (2007).

8- الهوامش:

[1]ابن فارس (أبو الحسن أحمد) مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط2، (1979) ج2، ص: 198

[2]ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ت، د ط، مج، ص:1194

[3]لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني "قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين" مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، (2014)، ص: 72

[4] عبد الرحمن بودراع، الخطاب القرآني ومناهج التأويل (نحو دراسة نقدية للتأويلات المعاصرة)، مركز الدراسات القرآنية الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، المغرب، ط1، (2013)، ص: 11

[5]لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، ص: 75

[6]سورة القيامة، ٱلآية: 17، 18

[7]الزرقاني (محمد عبد العظيم)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد رمزي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط1، (1995)، ج1، ص: 15، 16

[8]موسى إبراهيم إبراهيم، بحوث منهجية في علوم القرآن، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، (1996)، ص: 14

[9]سورة الشعراء، الآيات: 192، 193، 194، 195

[10]لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، ص: 100

[11]مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، (2004)، ص: 591

[12] الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل)، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط2 (2000)، ص: 29

[13]محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، (1984)، ج1، ص: 18

[14]ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص: 171

[15]الجوهري (أبو النصر إسماعيل بن حماد)، الصحاح، تح: محمد بن تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط (2009)، ص: 64

[16]نفسه، ص: 64

[17]سورة الأعراف، الآية: 53

[18]ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص: 162

[19]ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص: 172

[20]ابن تيمية (تقي الدين أحمد الحراني)، مجموع الفتاوى، اعتنى به وأخرجه: عامر الجزار، أنوار البار، دار الوفاء، مصر ط3، (2005)، ج4، ص: 45

[21]المرجع نفسه، ص: 46

[22]المرجع نفسه، ص: 46

[23]خالد عبد العزيز السيف، ظاهرة التأويل الحديثة في النقد العربي المعاصر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية، ط3، (2015)، ص: 33

[24]محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 (2010)، ص: 138.

[25]محمد بازي، صناعة الخطاب (الأنساق العميقة للتأويلية العربية)، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، (2015)، ص: 54

[26]سورة النحل، الآية: 103

[27]الشافعي (محمد بن إدريس)، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، (1938)، ج1، ص: 50

[28]الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي)، الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ط1، (1997)، ج2، ص: 102

[29]ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار اشبيليا، المملكة العربية السعودية، ط2، (1998)، ج1، ص527

[30]يحيى رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي (الاستراتيجية والإجراء)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، (2007) ص: 462

[31]عمارة ناصر، اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي)، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، (2007)، ص: 96

[32]سورة التوبة، الآية: 03

[33]ينظر، ابن الأنباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط3، (1985)، ص: 19، 20